زيارة الأربعين ودلالاتها القيميّة

أ.د ريما حسين أمهز
الجامعة اللّبنانيّة-كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة

الملخّص:

تواترت نصوص كثيرة في وصف الثّواب الجزيل المترتّب على زيارة قبور الأئمّة عليهم السلام، والوقوف على عتباتهم المقدّسة، ويحتلّ الإمام الحسين عليه السلام منزلة خاصّة في هذا المجال، فزيارة قبره الشّريف فيها من المكاسب الرّوحيّة والفوائد الفكريّة والأخلاقيّة ما ليس مثلها في زيارة أيّ مرقد وضريح آخر، كما ورد عن رسول الله ص، وعن أهل البيت عليهم السلام. لذلك نجد الشّيعة الإماميّة أتباع أهل البيت عليهم السلام، يتوافدون إلى كربلاء المقدّسة من مختلف أنحاء العالم لزيارة مرقد الإمام الحسين عليه السلام، في الأيّام العامّة من السّنة، وفي أيّام شريفة وأوقات خاصّة لها مزيّة عند الله سبحانه وتعالى، وذلك لأنّ للوقوف على ذلك الصّرح المهيب جذبة قدسيّة ملكوتيّة وانعكاسات حزينة تستوعب شغاف القلب، فتربته المقدّسة الّتي تروّت بدمائه الطّاهرة لا زالت تعبق بأريج الكرامة ممزوجة بروح النّبوّة والإمامة.

وهذه الظّاهرة ليست بجديدة، وإنّما بدأت من تاريخ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام حتّى الآن. وقد حافظ الشّيعة على هذا الأمر العظيم، وبذلوا في سبيل ذلك كلّ جهودهم وإمكانيّاتهم، وقدّموا التّضحيات الجسيمة، وواجهوا مختلف التّحدّيات المناوئة بكلّ صمود ومقاومة.

ولأنّ لزيارة الأربعين أهميّة خاصّة عند الشّيعة لما تختزنه من مكنونات ربانيّة ورحمانيّة، يعجز عقلنا القاصر عن الإلمام بها، وعن استيعاب المضامين الملكوتية لربّ العالمين الّتي اختصّ بها هذه الزّيارة الخالدة وعلى مرّ التّاريخ، جاء هذا البحث في محاولة للوقوف على أهمّيّتها، وأبعادها الدّلاليّة، ومدى انعكاسها على الرّوح والنّفس البشريّة، وماتلهمه هذّه الشّعيرة المقدّسة من الإنجذاب الرّوحي لسيّد

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الأول/ العدد الأول / السنة الأولى

الشّهداء خصوصًا، ولشهداء الطّفّ عمومًا، وما تثيره من تفاعل نفسيّ واجتماعيّ بين الزّائرين، وما ينتج عنها من سلوكيّات ورموز تتداخل فيها قيم الحقّ والخير والجود والفضيلة.

الكلمات المفتاحيّة: الإمام الحسين عليه السلام زيارة الأربعين- الدّلالات القيميّة.

The Visit of Al-Arba'een and its Value Connotations

rima husayn amhaz

Faculty of Arts and Humanities

Lebanese University

Abstract

Plentiful texts have been recurred in describing the great recompense that results from visiting the graves of the imams, peace be upon them, and standing at their holy thresholds, where Imam Hussein, peace be upon him, occupies a special position in this field. As was reported on the authority of the Messenger of God, may God bless him and grant him peace, and on the authority of Ahl al-Bayt, peace be upon him, visiting his honorable grave contains spiritual gains as well as intellectual and moral interests that are not comparable to visiting any other mausoleum. Wherefore, we find the Imami Shiites, the followers of Ahl al-Bayt, peace be upon them, flock towards Holy Karbala from all over the world to visit the shrine of Imam Hussein, peace be upon him, on public days of the year, and on honourable days and special times that have an advantage with God Almighty. This is because standing on

that majestic edifice has a divine and royal attraction and sad reflections that accommodates the endocardium. To add, his sacred soil, which was watered with his pure blood, still smells of dignity mixed with the spirit of Prophet hood and Imamate.

This phenomenon is not new, but it started from the date of the martyrdom of Imam Hussein, peace be upon him, until now. The Shiites have preserved this magnificent matter, where they exerted all their efforts and capabilities for this purpose, made enormous sacrifices, and faced various hostile challenges with steadfastness and resistance.

Because the Ziyarte AL-Arba'een is of special importance to the Shiites for its divine and merciful treasures, our deficient mind is unable to comprehend it, nor to comprehend the royal contents of the Lord of the worlds that He singled out for this eternal visit and throughout history. Therefore, this research came to try to look at its importance, its semantic dimensions, and the extent of its reflection on the soul and the human psyche, and what this sacred rite inspires him from the spiritual attraction to the Master of Martyrs in particular, and to the martyrs of At-Taff in general, and what it provokes from the psychological and social interactions of visitors and the resulting behaviors and symbols in which the values of truth, goodness, generosity and virtue overlap.

Keywords: Imam Hussein, peace be upon him – Ziyarte AL-Arba'een – value connotations.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c - k a r b a l a . c o m
المجلد الأول/ العدد الأول / السنة الأولى

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
صفر - ١٤٤٥هـ / أيلول - ٢٠٢٣م

مقدّمة:

إنّ الله تعالى شرّف أرض كربلاء وأعلاها، وجعلها ترعة من ترع الجنّة، ومسكنًا للأنبياء والأوصياء في الجنّة بسبب جريان دم الحسين وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام، وكذلك سيلان دماء أكثر الأنبياء عليهم السلام الّذين مرّوا بهذه البقعة المباركة، فلذا قُدّست وعُظّمت وفُضّلت على أرض مكّة وعلى باقي البقاع . فببركة سيلان تلك الدّماء الطّاهرة على تلك الأرض، صار ترابها إكسيرًا نورانيًّا، وجوهرًا قدسيًّا، ودواء إلهيًّا، وشفاءً ربّانيًّا، وبلسمًا مشعًّا بالخيرات والبركات. وصارت تلك التّربة ببركة دم الحسين ع خارقة للحجب السّبع، ومهبطًا لملائكة اللهّ تعالى، بل صارت تلك التّربة الّتي تحوي جثمانه الطّاهر عرشًا للهّ تعالى، الّتي من لثمها وقبّلها وزارها فكأنّما زار اللهّ تعالى في عرشه(الطّبطبائي، ع، ص ٥٠-٥١).

وقد بعث اللهّ قومًا، أقاموا رسمًا لقبر سيّد الشّهداء في تلك البطحاء، فكان علمًا لأهل الحقّ وسببًا للمؤمنين على الفوز، وتحفّه ملائكة من كلّ سماء، مائة ألف ملك في كلّ يوم وليلة، يصلّون عليه ويسبّحون اللهّ عنده، ويستغفرون اللهّ لزوّاره، ويكتبون أسماء من يأتيه زائرًا من أمّته متقرّبًا إلى اللهّ وإليه بذلك، وأسماء آبائهم وعشائرهم وبلدانهم، ويَسِمون في وجوههم بميسم نور عرش الله «هذا زائر قبر خير الشّهداء وابن خير الأنبياء فإذا كان يوم القيامة سطع في وجوههم من أثر ذلك الميسم نورٌ تغشى منه الأبصار، يدلّ عليهم، ويعرفون به»(المجلسي، ج ٢٨، ص ٥٥، وج ٤٥، ص ١٧٩).

من هنا اكتسبت زيارة الإمام الحسين عليه السلام أهمّيّة قصوى، وصارت سنّة يتوارثها أجيال الشّيعة، حتّى أصبح مهوى نفوسهم إلى التّعبّد فيها مضرب الأمثال.

وظاهرة زيارة الإمام الحسين ﷺ ليست بجديدة، وإنّما بدأت من تاريخ استشهاده، واستمرّت حتّى الآن. وقد حافظ الشّيعة على هذا الأمر العظيم، وبذلوا في سبيل ذلك كلّ جهودهم وإمكانيّاتهم، وقدّموا التّضحيات الجسيمة، وواجهوا مختلف التّحدّيات المناوئة بكلّ صمود ومقاومة.

ولأنّ لزيارة الأربعين الّتي هي بصدد دراستنا أهمّيّة خاصّة عند الشّيعة، لما تختزنه من مكنونات ربانيّة ورحمانيّة، يعجز عقلنا القاصر عن الإلمام بها، وعن استيعاب المضامين الملكوتية لربّ العالمين الّتي اختصّ بها هذه الزّيارة الخالدة وعلى مرّ التّاريخ، جاء هذا البحث ليثير عدّة تساؤلات تمثّل إشكاليّته:

ما هو المبرّر لتجديد ذكرى الإمام الحسين ع، وبهذا الشّكل المحزن؟ وما هو السّرّ وراء هذا التّركيز على ذكرى الأربعين؟ وما هي دلالاتها المعنويّة؟ وما الّذي تبعثه هذه الذّكرى في نفوس الشّيعة ومحبّي آل البيت والعالم بأسره؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة، قسمنا هذا البحث إلى مقدّمة، وثلاثة مباحث وخاتمة، وذلك للوقوف على أهمّيّة الزّيارة، ودلالاتها القيميّة، ومدى انعكاسها على الرّوح والنّفس البشريّة، وماتلهمه هذّه الشّعيرة المقدّسة من الإنجذاب الرّوحي لسيّد الشّهداء، وما تثيره من تفاعل نفسيّ واجتماعيّ بين الزّائرين، وما ينتج عنها من سلوكيّات ورموز تتداخل فيها قيم الحقّ والخير والجود والفضيلة.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
صفر - ١٤٤٥ هـ، أيلول - ٢٠٢٣ م

تمهيد

قبل الشّروع في المبحث الأوّل، لا بدّ لنا من تعريف الزّيارة لغة واصطلاحًا، وإلقاء نظرة تاريخيّة حول زيارة الأربعين.

أوّلًا: الزّيارة لغة:

قال ابن منظور: « زور: الزَّور: الصّدر، وقيل: وسط الصّدر. وقيل: أعلى الصّدر. وقيل: ملتقى أطراف عظام الصّدر. وقيل: هو جماعة الصّدر من الخفّ. والجمع: أزوار.

والزَّوَر: عِوَج الزَّوْرِ، وقيل: هو إشراف أحد جانبيه على الآخر. زَوِرَ زَوْرًا فهو أزْوَر. وكلب أزْوَر: قد استدقّ جوشن صدره، وخرج كَلْكَلُه كأنّه قد عُصر جانباه. ويستحبّ في الفرس أن يكون في زَوْره ضيق، وأن يكون رحب اللّبان (ابن منظور، ج ٤، ص ٣٣٤).

قال الجوهري:وقد فرّق بين الزَّوْر واللّبان كما ترى. والزَّوْر في صدر الفرس: دخول إحدى الفَهْدتين وخروج الأخرى؛ وفي قصيدة كعب بن زهير: «في خلقها عن بنات الزّور تفضيل (ابن منظور، ج ٤ ص٣٣٤).

وقال الأصفهاني:«زور: الزّور: أعلى الصّدر، وزرت فلانًا تلقّيته بوزري، أو قصدت زوره نحو وجهته، ورجل زائر وقوم زور نحو سافر وسفر، وقد يقال: رجل زور. فيكون مصدرًا موصوفًا به نحو ضيف، والزّور ميل في الزّور والأزور المائل الزّور، وقوله:﴿تزاور عن كهفهم﴾ (الكهف، الآية ١٧).

أي: تميل، قرئ بتخفيف الزّاي وتشديده وقرئ تزور. قال أبو الحسن: لا معنى لتزور ههنا؛ لأنّ الازورار الانقباض، يقال: تزاور عنه، وأزور عنه، ورجل أزور، وقوم زور، وبئر زوراء مائلة الحفر، وقيل للكذب: زور؛ لكونه مائلًا عن جهته (الاصفهاني، ص ٢١٧، مادّة: زور) .

ثانيًا: الزّيارة اصطلاحًا:

الزّيارة بالمعنى الاصطلاحي تتضمّن نفس المعنى اللّغويّ، وقد تكون أخصّ منه من جهة الموضوع، بحيث تطلق الزّيارة والزّائر على من قصد مكانًا خاصًّا، وهو زيارة الأئمّة والأولياء، وأصحاب المقامات.

وهناك اصطلاح خاصّ عند الشّيعة لكلمة الزّيارة عند إطلاقها، ومن دون أيّ قرينة، وهي زيارة خصوص الأئمّة.

والزّيارة عند متشرعة الإماميّة لفظ مشترك بين معنيين هما:

الأوّل: الظّاهرة السّلوكيّة المتمثّلة بالمسير نحو حرم أولياء الله تعالى، والحضور في مشاهدهم المقدّسة.

والثّاني: النّصوص المأثورة عن المعصومين عليهم السلام الّتي ينبغي قراءتها عند أعتابهم، وفي مشاهدهم الطّاهرة.

ثالثًا: نظرة تاريخيّة

لو عدنا إلى أوّل الكتب الحديثيّة الأربعة عند الشّيعة، وهو كتاب الكافي للكليني (٣٢٩ / ٩٣٨)، الّذي يعدّ من أقدم التّصانيف في ذكر الزّيارات، إذ خصّص لها

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الأول/العدد الأول/ السنة الأولى

أبوابًا، تكلّم فيها عن مكاناتها وما يقال فيها، لا نجد أنّه يذكر زيارة الأربعين.

ولو تأمّلنا كتاب «الكامل في الزّيارات» لابن قولويه (٣٦٨ / ٩٧٦) الّذي يعدّ من أهمّ ما كتب في مجال الزّيارات وأقدمها، فهو الفيصل في وجود الزّيارات في القرن الرّابع الهجري، بل وتناميها عبر قرون خلت من تاريخ الإسلام، إذ اكتسب اسمها عنوانًا له، لوجدنا أنّه فاض في الحديث عن أنواعها وتعداد مواسمها ومناسباتها ورواياتها، فضلًا عن الرّوايات عن رسول الله ﷺ في الحسين عليه السلام ومقتله، وزيارته الّتي منحها المساحة الكبرى في كتابه، أي تعادل ثلاثة أرباعه (القمي، بن قولويه، ص ١٢١، الباب ٩٨، ص ٤٩٠) إلّا أنّه لم يرد فيه أيّ ذكر عن زيارة الأربعين. ولو تأمّلنا الأحاديث في باب (القمي، بن قولويه، ص ١٢١ باب ٧٢).

ثواب من زار الحسين ع يوم عاشوراءمن كتاب «ابن قولويه (القمي، بن قولويه، ص ١٢١ باب ٧١).

لوجدناها تنصّ جميعًا على ثواب الزّيارة في ذكرى يوم عاشوراء، ولم تذكر الأربعين، وهذه دالّة على أنّ زيارة الأربعين لم تكن معروفة في عصر ابن قولويه، ولو كانت كذلك لكتب عنها بابًا مثل زيارتي: يوم عرفة (القمي، بن قولويه، ص ١٢١ باب ٧٠)، ومنتصف شعبان.

وقد نشر الشيخ الصدوق (٣٨١ / ٩٩١) في كتبه فكرة الزّيارة، وبخاصّة زيارة الإمام الحسين، عليه السلام وفضلها، ولم يذكر عن زيارة الأربعين سوى رواية مرسلة (الصّدوق، ص٩٥٧).

في علامات المؤمن رُوي عن أبي محمّد الحسن بن علي العسكري عليه السلام أنّه قال:

«علامات المؤمن خمسٌ : (صلاة الإحدى والخمسين، وزيارة الأربعين، والتختُّم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرّحمن الرحيم) (العاملي، ص ٥٣).

أمّا في القرن الخامس الهجري، فثمّة معيار تطوريّ لوجود الزّيارات وخاصّة في مصنّفات شيخ الطّائفة، محمّد بن الحسن الطوسيّ (٤٦٠ / ١٠٦٨) ولاسيّما في كتابيه «مصباح المتهجّد»، الّذي يشتمل على العبادات والصّلوات والزّيارات بحسب أشهر السّنة، وحتّى الأيّام أحيانًا؛ وفي كتاب «التّهذيب»، الّذي يعدّ من الكتب الحديثيّة الأربعة، المعتبرة عند الشّيعة نصًّا لزيارة الأربعين (الطّوسي، ٦/ ٥٢) (طّوسي، ٦/ ٥٢)، يستند فيه على حديث «علامات المؤمن»، ثمّ يشفعه بعنوان «شرح زيارة الأربعين»، يستند خلاله برواية عن صفوان الجمال، يقول: قال لي مولاي الصّادق: «في زيارة الأربعين تزور عند ارتفاع النّهار»، وذكر له نصّ الزيّارة، وكيّفيتها (طّوسي،٦/ ١١٣) ويبدو أنّ زيارة جابر الى كربلاء، والتقاءه بآل الرّسول في الأربعين، وجلب الرّؤوس، من أهمّ العلل الّتي أسسّت لزيارة الأربعين. فقد ذكر الشّيخ المفيد (الشّيخ المفيد،ص٤٦): «في اليوم العشرين منه من صفر كان رجوع حرم سيّدنا ومولانا أبي عبد الله من الشام إلى مدينة الرّسول ﷺ، وهو اليوم الّذي ورد فيه جابر بن حزام الأنصاري، صاحب رسول الله ﷺ من المدينة إلى كربلاء لزيارة قبر سيّدنا أبي عبد الله ﷺ، فكان أوّل من زاره من النّاس». ونقل هذا النّص الطّوسي، وزاد في آخره (الطّوسي، ٧٨٧) «ويستحب زيارته ﷺ فيه، وهي زيارة الأربعين».

وجاء في «بحار الأنوار»: وقال عطاء، والصَّحيح عطية العوفي، أحد رجال العلم والحديث، روي عنه أخبار كثيرة في فضائل أمير المؤمنين ﷺ وهو الّذي تشرّف

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الأول/ العدد الأول / السنة الأولى

بزيارة الحسين عليه السلام مع جابر، كما ذكر ذلك الشيخ عباس القمي في الكنى والألقاب.

يقول عطيّة: «كنت مع جابر بن عبدالله يوم العشرين من صفر، فلمّا وصلنا الغاضريّة- المقصود أرض كربلاء - اغتسل في شريعتها، ولبس قميصاً.. ثم ذكر الزّيارة التي زار فيها الإمام الحسين عليه السلام (المجلسي، ج ٩٨، ص ٩٨، ٩٩).

أما تحديد بدء زيارة الأربعين، كنسق جماعي، فيمكن أنْ نستفيد من وروده في كتاب «التّهذيب» الّذي ألّفه الطّوسي في بغداد بين(٤٣٦ -٤٤٧هـ) ؛ فهو يدلّ على أن زيارة الأربعين أضحت تقليدا عند الشّيعة في بغداد، في إبّان الثّلث الأوّل من القرن الخامس الهجري، ممّا حدا بالشّيخ الطّوسي(مروارید، ص٦) أن يضع للزّائر بعض الضّوابط للزّيارة في الكتابين. وإذا كان «مصباح المتهجّد» في آخر جريدة الكتب الّتي صنفها الشّيخ الطّوسي، قد ألّفه في النّجف الأشرف، أو كتب فيها ملخّصه «مختصر مصباح المتهجّد وسلاح المتعبد» (المصباح الصغير((بزرك، ٢١ / ١١٨) ؛ فإنّه يكشف عن تأكيد على الزّيارات، يتناسب مع الواقع، ولا سيّما زيارة الإمام الحسين عليه السلام الّتي أضحت من التقاليد الاجتماعية في النجف (المخزومي، ص ١٦١). ويعزّز مقاربة أنّ زيارة الأربعين لها حضور في مطلع القرن الخامس الهجري قول البيروني (٤٤٠ / ١٠٤٨) : «في العشرين من صفر رُدّ الرّأس إلى جثّته، فدفن معه، وفيه زيارة الأربعين، ومجيء حرمه بعد الانصراف إلى الشّام.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الأول/العدد الأول/السنة الأولى

المبحث الأوّل
مشروعيّة زيارة الأربعين

لقد عظّم الباري سبحانه وتعالى مودّة أهل البيت عليهم السلام، وجعلها فريضة من الفرائض القرآنيّة، وفي عداد أصول الدّين وليست من فروع الدّين، وهذا ما تدلّ عليه الآية الكريمة: ﴿ذَٰلِكَ لَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾(الشّورى، الآية ٢٣)، وهذا التّعبير القرآني ليس من الغلوّ في شيء، فكلمة أَجْرًا الواردة في الآية ليست من وضع الشّيعة، وإنّما هي نصّ قرآنيّ ثابت من كلام اللهّ تعالى، والمقصود من المودّة الولاية، والقرآن الكريم يقول أنّ المودّة لها أحكام ومن تلك الأحكام الّتي تبيّنها الآيات القرآنيّة هي الاتّباع، حيث يقول اللهّ تعالى:﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَّ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُّ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران، الآية ٣١) فبيّن تعالى أنّ الاتّباع من لوازم المحبّة فضلًا عن المودّة؛ لأنّ المودّة تمتاز بخصائص على المحبّة، وهي أعلى درجة من المحبّة، فإذا كان الاتّباع من لوازم المحبّة، فمن باب الأولى أن يكون الاتّباع من لوازم المودّة أيضًا(الموسوي، ص ٢٨).

فإذا كان القرآن الكريم قد افترض فريضة عظيمة جعلها من الأصول الاعتقاديّة وهي مودّة أهل البيت عليهم السلام، فيكون مقتضى مودّة أهل البيت عليهم السلام أنّنا نفرح لفرحهم ونحزن لمصابهم، وهذا ما يتطابق مع قول الإمام الصّادق عليه السلام: «واختار لنا شيعة ينصرونا، ويفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا (الصّادق عليه السلام: الصدوق : ٦٣٥. المجلسي : ١٠: ١١٤ و٤٤: ٢٨٧ و٦٥: ١٧، النيسابوري٥٠٨، ٢: ٦٦٧).

ومن أبرز مظاهر اتّباع الإمام والتّولّي له، هو الحضور عنده والبيعة له ومناصرته وإطاعته، ولأجل ذلك تعتبر زيارة الإمام في مقامه وضريحه المقدّس من مظاهر البيعة له، والتّمسّك بنهجه؛ ولذلك جاء التّأكيد الكبير والحثيث على زيارة أولياء الله تعالى وخصوصًا الرّسول الأعظم ﷺ وأئمّة أهل البيت عليهم السلام.

والشّعائر الحسينيّة هي من الشّعائر الدّينيّة الّتي ورد الحثّ عليها. قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحجّ، الآية ٣٢).

فالآية الكريمة لا تختصّ بالشّعائر الّتي قد تعبّدنا اللهّ تعالى بها لكونها شعيرة؛ فالآية ليست مختصّة بشعائر الحجّ مع أنّها وارد في سورة الحجّ وتتكلّم عن موضوع يتعلّق بالحج؛ لأنّ كلمة شعيرة في الآية الكريمة وجمعها شعائر قد أُضيفت إلى اللهّ تعالى، حيث أنّ معنى الشّعيرة: العلامة والدّلالة، فهذا العنوان الّذي أُخذ من الآية أُضيف إلى اللهّ تعالى، فكلّ ما يكون معلمًا دينيًّا يؤهّله ذلك لأن يكون شعيرة دينيّة (الموسوي، ص ٤٩)

ولا شكّ أنّ واقعة كربلاء قد حفلت بالكثير من العبر، والكثير من القيم حتّى استحقّت أن يعتني بها كلّ الموالين المحبّين لأهل البيت عليهم السلام، فحرّضوا وشجّعوا على إحياء تلك الواقعة كلّما سنحت لهم الفرصة. وقد استجاب الموالون لهذه الدّعوة وصارت من شعائرهم الّتي ثابروا عليها في كلّ عام، إضافة إلى جعلها جزءًا من البرنامج الأساسيّ في كلّ ذكرى ميت.

يُذكر في كتاب «التّخطيط لرسم منظومة معلومات حول عقيدة الشّيعة» الّذي أصدرته دوائر الاستخبارات الأميركيّة، أنّ غالبيّة المسلمين وأنظمتهم قد ذابوا

في النّموذج الغربي إلّا الشّيعة أتباع أهل البيت ﷺ. ويرجع السّبب في ذلك إلى أنّ أكبر عامل لتمسّك الشّيعة بمذهبهم وعدم انخراطهم في الطّرح الغربي هو الإمام الحسين ﷺ، فيقول: إنّ هذا الرّمز يشبع فيهم الإباء والعزّة في الهويّة، وهذا ما يجعلهم مستقلّين وأعزّة غير ذائبين ولا خانعين، مع أنّ أساليبهم سليمة، ومع ذلك تراهم في عزّة وإباء. ويؤكّد الكتاب أنّ الشّعائر الحسينيّة لا بدّ أن تحارَب وأنّ أفضل طريقة في محاربة هذه الشّعائر بما فيها ذكر الحسين ﷺ وزيارته، هي أن نحرّك أقلام داخليّة منهم، ونجعلها تهاجم الشّعائر الحسينيّة وتتّهمها بالخرافيّة والأسطوريّة، وأنّها أمور عبثيّة ولغويّة لا فائدة منها (الموسوي، ص٤٧).

وهذا دليل قاطع على أنّ الشّعائر الحسينيّة، هي مدارس يتعلّم فيها المسلم نصرة الدّين، والإحساس بالمشؤوليّة الشّرعيّة للحفاظ عللى رسالة السّماء، ويتلقّن فيها صور الجهاد، ويتعرّف على أشكال التّضحية لنصرة القيم الفاضلة والمبادئ السّامية للدّين الحنيف، ويعيش بكلّ تصميم وإرادة لترك الدّنيا، والتّغلّب على ملاذها وشهواتها المؤقّتة.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الأول/ العدد الأول/ السنة الأولى

المبحث الثّاني

إحياء ذكرى زيارة الإمام الحسين عليه السلام في فكر أهل البيت عليهم السلام

اعتنى الكثير من المسلمين، لاسيما الأئمة الاثني عشريّة بواقعة كربلاء اهتمامًا قلّ نظيره لدى أيّ أمّة من الأمم، وتميّز الإحياء بأساليب تثير الدّمعة، وتبعث على الحزن وتذكّر المصاب مع أنّ الحسين عليه السلام ومن معه قد حقّقوا كلّ ما أرادوه، وتحقّقت أهداف حركتهم، وهم الآن في نعيم لا يزول قرب ربّ العالمين.

ولم يكن هذا الاهتمام ناشئًا عن صدفة أو عبث، بل كان كلّه بتوجيه من أهل البيت عليهم السلام لهدف لا يمكن الوصول إليه إلّا بهذا الإحياء، فلم يتركوا وسيلة للدّعوة نحو إحياء هذه المناسبة بهذا النّحو الّذي تناقلته الأجيال ووصل إلينا إلّا وقد استعملوها. وقد كان هذا الإحياء في فترة من الزّمن رمزًا من رموز الصّراع بين الحقّ والباطل، وبين خطّ أهل البيت عليهم السلام، وبين خطّ النّفاق. وقد عمل أهل النّفاق بكلّ جهدهم على إلغاء هذا الإحياء بوسائل شتّى سواء من حيث التّضييق على الشّيعة في بلاد الخلافة العبّاسيّة، أو مراقبة حركاتهم وسجن الكثير منهم، أو التّضييق على زوّار مشهد الإمام الحسين عليه السلام الّتي كانت في مرحلة عبّاسيّة معيّنة جهادًا عظيمًا؛ لأنّ من كان يزور الحسين عليه السلام في تلك الفترة كان معرّضًا للسّجن والقتل والتّعذيب بشتّى أنواعه (الحسيني، ص ١٥٣). والتّاريخ يذكر الكثير من النّماذج عن هذه الحالات، ومع ذلك بقيت المناسبة واستمرّ الإحياء.

والحقيقة أنّه لم يكن بالإمكان أن تصل إلينا عاشوراء بهذا الوجه المحمّدي لولا عناية الله تعالى، والدّعوة الأكيدة الّتي تولاها أهل البيت عليهم السلام، وتوجيه أتباعهم نحو ذلك، ولولا الدّماء الّتي بذلت والتّضحيات الّتي قُدّمت من قبل الكثير من الشّيعة.

وقد اختلفت أساليب دعوة أهل البيت عليهم السلام إلى ذلك الإحياء بين الدّعوة إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام وإظهار ما جعله اللهّ تعالى من أجر للزّائر، وبين الدّعوة إلى عقد المجالس بذكر أهل البيت عليهم السلام سواء في عاشوراء أم في غيرها من الأيّام والمناسبات، وبين رثاء الإمام الحسين ع وكتابة الشّعر فيه، وبين ذكر ما للبكاء على الحسين ع والتّباكي عليه من أجر عند ربّ العالمين، وبين إقامة أهل البيت عليهم السلام أنفسهم لهذه المآتم بهذه الطّريقة وإظهار تأثّرهم بتلك الواقعة ليتأسّى بها أتباعهم وأشياعهم.

وقد دلّت ذلك مجموعة من الرّوايات نقتصر على ذكر نماذج منها:

- عن أبي جعفر قال: «لو يعلم النّاس ما في زيارة الحسين عليه السلام من الفضل لماتوا شوقًا وتقطّعت أنفسهم عليه حسرات، قلت: وما فيه، قال: من أتاه تشوّقًا كتب الله له ألف حجّة متقبّلة، وألف عمرة مبرورةن وأجر ألف شهيد من شهداء بدر، وأجر ألف صائم، وثواب ألف صدقة مقبولة، وثواب ألف نسمة أريد بها وجه الله، ولم يزل محفوظًا سنته من كلّ آفة أهونها الشّيطان، ووكّل به ملك كريم يحفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوق رأسه ومن تحت قدمه، فإن مات سنته حضرته ملائكة الرّحمة، يحضرون غسله وأكفانه والاستغفار له، ويشيّعونه إلى قبره بالاستغفار له، ويُفسح له في قبره مدّ بصره، ويؤمنه الله من ضغطة القبر، ومن منكر ونكير أن يروّعانه، ويفتح له باب إلى الجنّة، ويعطى كتابه بيمينه، ويعطى له يوم القيامة نورًا يضيء لنوره ما بين المشرق والمغرب، وينادي مناد: هذا من زوّار الحسين عليه السلام شوقًا إليه، فلا يبقى أحد يوم القيامة إلّا تمنّى يومئذ أنّه كان من زوّار الحسين عليه السلام (بن قولويه، ص٢٧٠).

- عن أبي عبد اللهّ: « لو أنّ أحدكم حجّ دهره ثمّ لم يزر الحسين بن علي عليه السلام لكان تاركًا حقًّا من حقوق اللهّ وحقوق رسول اللهّ صلى الله عليه وآله، لأنّ حقّ الحسين عليه السلام فريضة من اللهّ واجبة على

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الأول/العدد الأول/السنة الأولى

كلّ مسلم(بن قولويه الباب ٥٠، ص ١٢٢).

- عن أبي عبد اللهّ عليه السلام: «ما من أحد يوم القيامة إلّا وهو يتمنّى أنّه من زوّار الإمام الحسين عليه السلام لما يرى ممّا يصنع بزوّار الإمام الحسين عليه السلام من كرامتهم على اللهّ تعالى(بن قولويه الباب ٥٤).
- عن الإمام الصّادق عليه السلام:«زيارة الحسين عليه السلام أفضل ما يكون من الأعمال(بن قولويه، ص٢١)
- عن أبي جعفر: «مرّوا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام، فإنّ إتيانه مفترض على كلّ مؤمن يقرّ للحسين عليه السلام بالإمامة من اللهّ عزّ وجلّ(بن قولويه ص ١٢٢)»
- عن أبي الحسن عليه السلام، قال: « من أتى قبر الحسين عليه السلام في السّنة ثلاث مرّات، أمن من الفقر ن قولويه ص ٤٨».
- عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ لله ملائكة موكّلين بقبر الحسين عليه السلام، فإذا همّ الرّجل بزيارته أعطاهم الله ذنوبه، فإذا خطا محوها، ثمّ إذا خطا ضاعفوا له حسناته، فلم تزل حسناته تضاعف حتّى يوجب له الجنّة، وإذا اغتسل حين همّ بزيارته، ناداه محمّد صلى الله عليه وآله: يا وافدًا لله أبشر بمرافقتي في الجنّة، وناداه عليّ عليه السلام: أنا ضامن لقضاء حوائجكم، واكتنفا عن يمينه وشماله حتّى ينصرف. وفي نقل آخر: ثمّ التقاهم النّبي صلى الله عليه وآله عن أيمانهم وعن شمائلهم حتّى ينصرفوا إلى أهاليهم (بن قولويه. ص ١٣٣).
- عن الإمام الصّادق عليه السلام: إذا قتل الزّائر في سبيل الإمام الحسين عليه السلام قال: « أوّل قطرة من دمه يغفر له بها كلّ خطيئة، وتغسل طينته الّتي منها خلق الملائكة، حتّى تخلص كما خلصت الأنبياء المخلصين. وهذا مقام عظيم لا يلقاه إلّا ذو حظّ عظيم، ويذهب عنها ما كان خالطها من أجناس طين أهل الكفر، ويغسل قلبه، ويشرح صدره، ويملأ إيمانا، فيلقى الله وهو مخلص من كلّ ما تخالطه الأبدان والقلوب، وتكتب له الشّفاعة في أهل بيته، ولألفٍ من إخوانه، وتؤتي الصّلاة عليه الملائكة مع جبرئيل وملك

الموت (عزرائيل) ويؤتى بكفنه وحنوطه من الجنّة، ويوسّع قبره عليه، وتأتيه الملائكة بالتّحف من الجنّة، ويرفع ثمانية عشر يومًا إلى حظيرة القدس، فلا يزال فيها مع أولياء الله حتّى تصيبه النّفخة الّتي لا تبقي شيئًا. فاذا كانت النّفخة التّالية، وخرج من قبره، كان أوّل من يصافحه رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام وأوصياؤه صلوات الله عليهم، ويبشّرونه ويقولون له: «الزمنا، ويقيمونه على الحوض، فيشرب منه ويسقي من أحبّ» (بن قولويه ص ٢٤).

- عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام: «من زار الحسين عليه السلام عارفًا بحقّه غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر(بن قولويه. الباب ٥٤).
- عن أبي عبد اللهّ عليه السلام أنّه قال لأبي هارون المكفوف: «يا أبا هارون أنشدني في الحسين عليه السلام، قال: فأنشدته فبكى فقال: أنشدني كما تنشدون يعني بالرّقة، قال: فأنشدته:

امــرر على جدث الحســين فقــل لأعظمــه الزّكيّــة

فبكى، وسمعت البكاء من خلف السّتر. قال: فلمّا فرغت، قال عليه السلام لي: يا أبا هارون، من أنشد في الحسين عليه السلام شعرًا فبكى وأبكى عشرًا كتبت له الجنّة، ومن أنشد في الحسين شعرًا فبكى وأبكى خمسة كتبت له الجنّة، ومن أنشد في الحسين شعرًا فبكى وأبكى واحدًا كُتبت لهما الجنّة (بن قولويه، الباب ٣٣).

- عن أبي جعفر عليه السلام، قال: « أيّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليه السلام دمعة حتّى تسيل على خدّه بوّأه الله بها في الجنّة غرفًا يسكنها أحقابًا، وأيّما مؤمن دمعت عيناه دمعًا حتّى يسيل دمعه على خدّه لأذى مسّنا من عدوّنا في الدّنيا بوّأه الله مبوّأ صدق في الجنّة، وأيّما مؤمن مسّه أذى فينا فدمعت عيناه حتّى يسيل دمعه على خدّيه من مضاضة ما أوذي فينا، صرف الله عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخطه والنّار(بن قولويه. الباب ٣٢).

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الأول/ العدد الأول / السنة الأولى

- عن الرّضا ﷺ قال: «من تذكر مصابنا وبكى لما أُرتكب منّا، كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن ذُكّر بمصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينُه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلساً يحُيى فيه أمرُنا، لم يمت قلبه يوم تموت القلوب» (الصدوق، ص٢٧٨).
- عن أبي عبد اللهّ قال:«بكى علي بن الحسين على أبيه حسين بن علي ﷺ عشرين سنة أو أربعين سنة وما وضع بين يديه طعام إلا بكى على الحسين حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين، قال: إنّما أشكو بثّي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون، إنّي لم أذكر مصرع بني فاطمة إلّا خنقتني العبرة لذلك (بن قولويه، الباب ٣٥، الحديث الأوّل).

ويتبيّن لنا من خلال هذه الرّوايات المستفيضة بأنّ زيارة الحسين ﷺ، من أعظم أبواب الجهاد في سبيل اللهّ، وفي سبيل الإيمان في قبال الجاحدين والمعاندين الّذين يريدون أن يطفئوا نور اللهّ وهو الإيمان. والرّوايات كثيرة لا يتّسع المقام لذكرها، ونحن إن أطلنا في نقل عدد منها فإنّما لطمع بنيل الأجر.

المبحث الثّالث
القيم الأخلاقيّة في الزّيارة الأربعينيّة

تتجلى البنى الأخلاقيّة لزيارة الأربعين في جماليّة الاستذكار، وروعة الاعتبار برمزيّة الثّورة، من طريق ممارسة القيم وحركتها، ونشرها على سبيل الكرامة الاجتماعيّة. فيحثّ مجتمع الشّيعة في زيارة الأربعين الخطى إلى المعنى في أهداف الثّورة الحسينية، وتمثّلات الإصلاح الاجتماعيّ، وما تضطلع به من عوالي القيم، لمواجهة مخاضات الصّراع الوجودي، وترسيم هويّة الوجود.

فحادثة كربلاء بما تحمله من معانٍ وقيم تكفي لوحدها بأن تكون مدرسة تربويّة اجتماعيّة، وزيارة الأربعين هي فرصة عظيمة لتثبيت الأفكار والقيم الكربلائيّة وبثّها في الزّائرين. ويشكّل الجوّ الإحيائي لمراسم الأربعين مددًا قيميًا للموالين، يبثّ فيهم روح التّضحية والصّبر، والإيثار، والكرم والجود، والفضيلة، والإصلاح.

«وتوفّر أجواء عاشوراء، وبرامج الاحتفاء بها، فرصًا هائلة، يمكن استثمارها والاستفادة منها في تنمية هذه المجتمعات، وتعميق الحالة الدّينية والقيميّة، ومعالجة الكثير من المشاكل الاجتماعيّة، ذلك أنّ النّفوس تكون مهيّأة، وقادرة على التّفاعل أكثر، فسيرة الإمام الحسين عليه السلام تجعلهم أكثر استعدادًا للتّجاوب والبذل والعطاء، فهي ثروة عظيمة هائلة بإمكانها أن تقدّم الكثير من الخير والعطاء للمجتمع.

وزيارة الأربعين تعتبر من الدروس الأخلاقية العمليّة الّتي تكوّن ملكات أخلاقيّة من جهة، وتكشف عمليًّا عن مستوانا الأخلاقي ودرجته من جهة أخرى. ففي هذه الزّيارة عدّة معطيات أخلاقية سنكتفي في هذا البحث بذكر بعض منها:

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الأول/العدد الأول/السنة الأولى

الكرم:

الكرم صفة ملازمة للأنبياء عليهم السلام. قال الله تعالى في سورة الذّاريات:﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (لإنسان، الآية٨-١٢)﴾، فلمَّا رأى إبراهيم الضّيف وقبل أن يسأله عن حاجته أتى بخير الطّعام وقدّمه إليهم.

وقال سبحانه وتعالى في سورة الإنسان: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ (يوسف، الآية٢١)، فمَن يطمع في رحمة الله يوم العذاب سبيله إلى ذلك هو الإنفاق. وتتجلّى ظاهرة الكرم بقوّة في المجتمع العراقيّ، وهي من معطيات التّضامن الاجتماعي في زيارة الأربعين المليونيّة، وتتجسّد هذه الظّاهرة في إصرار أهل العراق على أن يقدّموا جلّ ما عندهم إلى ضيوف الحسين عليه السلام على طرق الزّيارة، سواء في الرّيف أو في المدينة، على نحو لافت للأنظار، فهو كرم ما زال يحرّك حبر الأقلام الزّاهرة بالمحبّة والتّواصل، وقد أشار تقرير صادر عن «مؤسّسة المساعدات الخيريّة (لعام ٢٠١٦) بعنوان «مؤشّر العطاء العالمي»، في ١٤٠ دولة، إلى أنّ العراق حلّ لعامين متتالين في المرتبة الأولى، في مجال مساعدة الغرباء، إذ أشار إلى أنّ ٨١ ٪ من السّكان ساعدوا غريبًا في الشّهر الّذي سبق مشاركتهم بالاستطلاع.

فالعراقيّون يطعمون الزّوّار وهم أحوج إلى من يطعمهم، يوفّرون الطّعام والشّراب في كلّ الطّريق ما بين النّجف الأشرف وكربلاء المقدّسة، وتسهر مواكبهم

من أجل خدمة الزّوار ليلاً نهارًا، ويقدّمون كلّ ما يحتاجه الزّائر من أكل وماء وفواكه، وأماكن للنّوم، واتّصالات مجانيّة، وغيرها من الخدمات.

في زيارة الأربعين وعلى امتداد ٩٠ كلم، ترى أطفالًا في عمر الزّهور لا يملكون لتكريم الضّيوف إلّا رشّهم بالعطور، يشتري واحدهم زجاجة عطر ويقف لساعات لتعطير الزّوّار، وترى فقراء النّاس وبسطاءهم يتسابقون على خطف الضّيوف من الشّوارع، وتأمين ألف خدمة وخدمة لهم، وترى أناسًا تركوا أعمالهم وعائلاتهم، وعرّضوا أنفسهم لخطر الموت أسابيع، لتوفير الرّاحة للزّوار، وترى شبابًا وكهولًا ورجالًا وأطفالًا يجلّلهم الفقر النّظيف أو السّتر، انتشروا على امتداد الطّريق، لتكريم زوّار العراق، وخدمتهم برموش العيون.

إنّه كرم أسطوريّ من بركات الإمام الحسين ﷺ، لا يصدّق في بلاد أخرى، فالعراقيّون يجترحون معجزات إنسانية لا نظير لها ولا مثيل، ويقدّمون أكثر ممّا يملكون، إلّا أنّهم يرون أنّهم لم يقدّموا شيئا مقارنة مع ما قدّمه الإمام الحسين ﷺ، من روحه، وأهله. وقد انعكس هذا الكرم على الغرباء وعلى العالم بأسره، حتّى أنّ هناك شركات أجنبيّة تعمل في العراق، أصابتها عدوى الكرم العراقي، وقرّر موظّفوها إقامة محطّات ضيافة للوافدين إلى العراق.

الصّبر:

الصّبر قيمة أخلاقيّة عالية أكّدت عليها الآيات والرّوايات، يقول الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَراتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ * أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة، الآية ١٥٥-١٥٧)

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الأول/ العدد الأول / السنة الأولى

ومن الرّوايات، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ﷺ، قَالَ: «الْجَنَّةُ مَحْفُوفَةٌ بِالْمَكَارِهِ وَالصَّبْرِ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى الْمَكَارِهِ فِي الدُّنْيَا دَخَلَ الْجَنَّةَ. وَجَهَنَّمُ مَحْفُوفَةٌ بِاللَّذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ، فَمَنْ أَعْطَى نَفْسَهُ لَذَّتَهَا وَشَهْوَتَهَا دَخَلَ النَّارَ (الكليني، الكافي: ٢/ ٨٩)، وعن أَبِي سَيَّارٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله ﷺ، قَالَ: «إِذَا دَخَلَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ كَانَتِ الصَّلَاةُ عَنْ يَمِينِهِ، وَالزَّكَاةُ عَنْ يَسَارِهِ، وَالْبِرُّ مُطِلٌّ عَلَيْهِ، وَيَتَنَحَّى الصَّبْرُ نَاحِيَةً، فَإِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ الْمَلَكَانِ اللَّذَانِ يَلِيَانِ مُسَاءَلَتَهُ قَالَ الصَّبْرُ لِلصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْبِرِّ: دُونَكُمْ صَاحِبَكُمْ، فَإِنْ عَجَزْتُمْ عَنْهُ فَأَنَا دُونَهُ (الكليني، الكافي:٢).

ويتبيّن لنا أنَّ الصّبر له قيمة معنويّة عالية، وله أجر عظيم، وأثر بالغ في الدّنيا والبرزخ والآخرة. والمشي في الأربعين لهو من المصاديق الواضحة للصبر، فيتحمّل زوّار الإمام الحسين ﷺ في هذه الذّكرى المشاقّ والصّعوبات، ويقطعون مسافات شاسعة ليؤدّوا أجر الرّسالة، ألا وهي المودّة في القربى، وليلبّوا داعي اللهّ كما ورد في زيارة الإمام الحسين ﷺ: « لبّيك داعيَ الله إنْ كانَ لم يُجِبْكَ بدني عند استغاثتك ولساني عند استنصارك، فقد أجابك قلبي وسمعي وبصري، سبحان ربّنا غن كان وعد ربّنا لمفعولا (ابن طاووس،ج٣، ص٣٤٢).

وقد تعدّدت الرّوايات عن فضل المشي في الزّيارات نذكر منها ما ورد عن الإمام علي بن أبي طالب ﷺ أنّه قال: «كأني بالقصور قد شيّدت حول قبر الحسين ﷺ، وكأنّي بالحامل تخرج من الكوفة إلى قبر الحسين، ولا تذهب اللّيالي والأيّام حتّى يسار من الآفاق، وذلك عند انقطاع ملك بني مروان (الصدوق، الأمالي، ١٩٩،٢١٣). فزيارة الأربعين تعطينا دروسًا عمليّة في الصّبر على ما نكره من تحمّل الأذى أو الجوع أو الألم أو غيرها، والصّبر على ما نُحِبُّ من طاعات.

الإيثار:

حثّنا الإسلام على الإثرة في قوله تعالى:﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (الحشر، الآية ٩)أي يقدّمون غيرهم على أنفسهم ولو كانوا محتاجين. وقوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (آل عمران، الآية ٩٢). والإيثار صفة خلقيّة محبوبة، لأنّها تعزّز الرّوابط الاجتماعيّة بين النّاس، وتحقّق التّراحم بينهم، وقد ورد عن النّبيّ ﷺ قوله: «لا يؤمن أحدكم حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّه لنفسه (البخاري ١، ١/ ١٢).

وقد ذكر القرطبي في كتابه: «الجامع لأحكام القرآن»: «الإيثار هو تقديم الغير على النّفس وحظوظها الدّنيويّة، ورغبة في الحظوظ الدّينيّة. وذلك ينشأ عن قوّة اليقين، وتوكيد المحبّة، والصّبر على المشقّة، يقال: «آثرتُه بكذا، أي خصصْتُه به وفضّلته (الدّمشقي، ١٨/ ٥٩٠).

وقال الجرجاني: «الإيثار أن يقدّم غيره على نفسه في النّفع له والدّفع عنه، وهو النّهاية في الأخوة (الجرجاني، ط١، ١/ ٤٠).

فالإيثار لا يخرج عن كونه تقديم الغير على النّفس في أمر هو بحاجة إليه، رغبة في الأجر والفوز بالجنّة، والتّخلّص من الأنانيّة في النّفس.

والإيثار من السّلوكيّات الّتي كان لها الدّور الأبرز في انتصار نهضة الإمام الحسين ﷺ، وقد سطّرت السّيّدة زينب ﷺ وأخيها العبّاس ﷺ وأهل بيتهم ﷺ أروع الدّروس في الإيثار عندما آثرت أخيها الحسين ﷺ على نفسها وعلى أولادها، وعندما آثره العبّاس على نفسه.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الأول/العدد الأول/السنة الأولى

وفي زيارة الأربعين نجد مصاديق الإيثار واضحة، فإنَّ تقديم الآخرين على النّفس من أعظم ما يقوم به السّائر إلى الحسين ﷺ والخادم في موكب الحسين ﷺ، فيُقدِّم مصلحة الزّائر على مصلحة نفسه، وراحة الزّائر على راحة نفسه، ويُنفِق من ماله لكي لا ينفق الزّائر من ماله، وهكذا، نتعلّم من الزّيارة درسًا عظيمًا وهو التّمسّك بخلق الإيثار لتخرج أمّتنا من خلق الأنانيّة وحبّ الذّات المسيطر على النّفوس إلى حبّ الخير ومساعدة الآخرين، رغبة في مرضاة الله تعالى.

التّرابط الاجتماعي، وإلغاء الطّبقيّة:

زيارة الأربعين إحدى الممارسات الرّوحية العالية الّتي تؤلّف بين قلوب النّاس وتوحّد صفوفهم، فهي تعمّق الوجود التعارفي بين البشر، والّذي عبَّرت عنه الآية الكريمة: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات، الآية ١٣)، فهي فرصة كبيرة للانفتاح الحضاري بين أُمَّة الإيمان، ومجال لحوار الحضارات على أسس دينيّة، كما وتزيل هذه الزّيارة حواجز اجتماعيّة ونفسيّة وثقافيّة بين شعوب بعض البلدان والبلدان الأُخرى، وتقيم ترابطًا اجتماعيّاً ليس بين أبناء البلد الواحد فحسب، وإنّما بين أبناء الشّعوب والبلدان الأُخرى فتشجّع على تكوين صداقات اجتماعيّة طيبة يتبادل فيها المتعارفون ثقافاتهم الجيّدة، فيخرجون بذلك إلى عالم رحب يمتلئ بالحياة والتّفكير والتّأمّل، ممّا يعزّز خلق نسيج اجتماعي كبير يربط دولًا وشعوبًا فيما بينها، بالرّغم من اختلافها في اللّغة أو اللّون أو الثقافة أو غيرها، كما أنّ زيارة الأربعين تلغي الطبقيّة، وتلغي العرقيّة، وتلغي القوميّة، وتلغي العنصريّة، فهي درس عمليّ لإلغاء التكبّر والتّعالي، خصوصًا ما يمارسه أصحاب المواكب من

إلغاء الذّات والتّواضع، وتقديم الخدمات بتفان لكلّ النّاس، فترى الكبير يخدم الصّغير، والغنيّ يخدم الفقير، بل وربّ العمل يخدم عمّاله. فالمسيرة إذن هي ترويض للنّفس وحثّها على الأخذ من القيم الفاضلة والمبادئ السّامية وتمهد للإنسان لكي ينهل من تلك الواقعة عناوين جديدة للحياة الفاضلة.

وهكذا ترى التّرابط الاجتماعي بأعلى صورة وبأجمل ما يكون، وكأنّك تسير في مجتمع ملائكيّ، وهذا البناء إنّما هو بناء نابع من هذه الزيارة المباركة.

ويمكن القول أنّ ممارسة هذه القيم تخلق مجتمعًا مترابطًا يرتبط بمنقذ عالميّ اسمه المهدي عجل الله فرجه الشريف، فتدعونا إلى الانتظار للإمام عليه السلام والإعداد له كلٌّ من دولته ولغته وعرقه وقوميّته، فيكون ذلك تمهيدًا ودعوة إلى عالميّة دولة الإمام الحجَّة عليه السلام.

خاتمة:

يتبيّن لنا من خلال هذا البحث أنّ الزّيارة ليست حالة من حالات التّعامل الجامد مع أكوام الحجارة والتّراب، وإنّما هي صيغة واعية تمارسها الأُمَّة لتعبّر عن عمق ارتباطها بخطّ الأولياء، وتنطوي علىٰ تأصيل حالة الولاء والحبّ لرموز مسيرتها، وتستبطن مزيدًا من العطاءات العقائديّة، والدّلالات القيميّة الّتي تشدُّ الأُمَّة إلىٰ الله سبحانه وتعالى، ذلك لأنَّ الزائر إنّما ينوي في زيارته التّقرّب إلىٰ الله تعالىٰ.

وزيارة الإمام الحسين عليه السلام في أربعينيّته تزيد وتعمّق أواصر الارتباط بالإمام عليه السلام، وتجدّد في النّفوس روح الاقتداء به وقد لا ينهض أيّ عمل آخر بما تنهض به الزّيارة من تقوية شعور الزّائر بقربه من المزور، وما يوفّره ذلك من مقدّمات الاقتداء التّامّ، وإحياء الذّكر علىٰ الدّوام.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
c-karbala.com
المجلد الأول/العدد الأول/السنة الأولى

لقد وجدنا أنّ زيارة الأربعين فيها عظيم البركات في كلّ المستويات المادّية والمعنويّة؛ وفيها كلّ المقوّمات الإنسانيّة والأخلاقيّة والشرعيّة الّتي قلّ نظيرها في التّاريخ البشري ما يجعلها في قمّة الصّدارة والرّيادة. ومن أعظم بركاتها دورها وأهمّيتها في الإعداد العملي للظهور وصناعة شخصيات الظهور ومجتمعه، فحريٌّ بنا أن نجعل تلك الزيارة مناراً لنا للتمهيد وانطلاقةً للانتظار الحقيقي الخالص للإمام عليه السلام، فنكون ممَّن أسهم في تعجيل الظهور المهدوي المقدَّس ببركة الزيارة الحسينية المقدَّسة، فنحظى بالنصر الإلهي التامّ على أعداء الله تعالى ورسوله وآله صلى الله عليه وآله.

ويمكننا القول بأنّنا إذا مشينا في خطى الحسين عليه السلام، يستطيع أن يعيد إلينا وجهنا الضّائع، وأن يصوغ من أمّتنا الممزّقة أمّة واحدة يشدّها الإيمان، ويربطها الإصرار من أجل الخلاص.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

١. ابن طاووس، عليّ بن موسى، ١٩٩٧، الإقبال بالأعمال الحسنة، تحرير القيومي الأصفهاني، جواد، قم، مركز انتشارات.

٢. ابن منظور، ١٩٨٨، لسان العرب، ط١، بيروت، دار إحياء التّراث العربي.

٣. ابن عادل، أبو حفص، عمر بن علي الدّمشقي، ١٩٩٨، اللّباب في علوم الكتاب، تحقيق عبد الموجود والشّيخ علي محمّد معوّض، ط١، بيروت، دار الكتب العلميّة.

٤. أبو الريحان، ١٨٧٨، الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق: فلايشر لايبزيغ، ألمانيا.

٥. الحسني، هاشم معروف، ١٩٩٤، من وحي الثّورة الحسينيّة، سوريا، دار التّعارف للمطبوعات.

٦. الأصفهاني، الرّاغب، ١٤٢٥ه، مفردات الفاظ القرآن، ط٤، قم، مطبعة كيميا.
٧. آغا بزرك الطّهراني، لا تاريخ، الذّريعة إلى تصانيف الشّيعة، بيروت، دار الأضواء.
٨. البخاري، محمّد بن اسماعيل، ١٩٨٦، التّأريخ الصّغير، تحقيق محمود ابراهيم زايد، بيروت، دار المعرفة.
٩. البروجردي، حسين الطّبطبائي، ١٣٨١ ش، جامع أحكام الشّيعة، قمّ، مؤسّسة الواصف.
١٠. الحبوبي، محمد قاسم، ٢٠٠٩، الأبعاد العقائديّة في الشّعائر الحسينيّة، مطبعة الرّائد.
١١. الحكيم، محمّد باقر، ٢٠٠٥، الشّعائر الحسينيّة، ط٢، النّجف، العترة الطّاهرة.
١٢. الجرجاني، علي بن محمد بن علي، ١٩٨٣، التّعريفات، تحقيق جماعة من العلماء، بيروت، دار الكتب العلميّة.
١٣. الشّهيد الأوّل، محمّد بن مكي العاملي، ١٩٨٩، المزار، مدرسة الإمام المهدي، قمّ.
١٤. الشّيخ المفيد، البغدادي، محمّد بن محمّد بن النّعمان، ١٩٩٣، مسار الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة، بيروت، دار المفيد.
١٥. الصّدوق، أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين ابن بابويه القمّي، ١٩٩٦، الأمالي أو المجالس، ط١، قمّ، مؤسّسة البعثة.
١٦. الطّوسي، أبو جعفر محمّد بن الحسن، ١٣٦٤ ش، تهذيب الأحكام، تحقيق حسن الموسوي الخرسان، ط٣، طهران، دار الكتب الإسلاميّة.
١٧. الطّوسي، ابن الحسن، ٢٠٠٧، مصباح المتهجّد، تصحيح أحمد عاشور، بيروت، مؤسّسة التّاريخ العربي.
١٨. عبد الحميد، صائب، ١٤٢١ق، الزّيارة والتّوسّل، ط١، قمّ، مركز الرّسالة.
١٩. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، ١٩٨٨، تحقيق مهدي المجزومي وابراهيم السّامرّائي، ط١، بيروت، الأعلمي للمطبوعات.

٢٠.القرطبي، أبي عبد الله، محمّد بن أحمد الأنصاري، ١٩٦٤، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوي وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصريّة.

٢١.القمي، ابو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه، ١٤٢٠ ه، كامل الزيارات، تحقيق جواد القيومي، ط٢، قمّ، مؤسّسة النّشر الإسلامي.

٢٢.الكليني، أبو جعفر بن محمّد بن يعقوب بن اسحق، ١٣٧٧ ه، الكافي، صحّحه علي أكبر الغفاري، طهران، مؤسّسة دار الكتب الإسلاميّة.

٢٣.الكفعمي، ابراهيم بن علي العاملي، ١٩٨٣، المصباح، ط٣، بيروت، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات.

٢٤.المجلسي، محمّد باقر، ١٩٨٣، بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمّة الأطهار، ط٣، بيروت، مؤسّسة الوفاء.

٢٥.المخزومي، صادق، ٢٠١٨، زيارة الأربعين دراسة سوسيولوجيّة ميدانيّة، النّجف، مؤسّسة أديان للثّقافة والحوار.

٢٦.الموسوي، رياض، ٢٠٠٣، الشّعائر الحسينيّة بين الأصالة والتّجديد، محاضرات سماحة الشّيخ محمّد السّند، ط١، قمّ، دار الغدير.

٢٧.الموسوي، رياض، ٢٠١١، الشّعائر الحسينيّة فقه وغايات، محاضرات سماحة الشّيخ محمّد السّند، ط١، قمّ، دار زين العابدين.

٢٨.الميرزا محمّد باقر الشّريف الطّبطبائي، ٢٠٠٨، شرح الزّيارة المطلقة للإمام الحسين عليه السلام، تحقيق الشّيخ أحمد هاني الهجري .